التكامل المعرفي
بين الإشكال والإعمال

بحث مقدّم إلى كلية الإمام الأعظم الجامعة

المؤتمر العلمي الدولي السابع عشر

إعداد

م. د. عمر تحسين رزيك محمد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين, وجعل لنا جملةً من العلوم والمعارف الصحيحة التي تستند إلى أُصول متينة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم الجهابذة, الذين لا يزالوا ينيرون طريق الناس ليرشدوهم إلى طريق الحق والإيمان.

وأُمتنا الإسلامية تزخر بالعلوم والمعارف الصحيحة الصادقة, فعلومها ومعارفها يكمل بعضها بعضاً, فتزدهر بين الأُمم, إذ بمجموع علومها يتحصل لها تكاملٌ معرفيٌّ واضحٌ لأرباب العقول النيرة, فلا يخفى ذلك على عاقل متبصر, فالإسلام لديه علومٌ في شتى المجالات, وقد اهتم بما ينفع في الدنيا والآخرة, وهذه الحصيلة المرموقة, التي يسعى إليها كل ذي لب راجح.

وفي هذا البحث المتواضع - الذي قسمته على ثلاثة مطالب, وكل مطلب فيه فقرات - سيتم التعرف على مفهوم الإشكال والإعمال ومفهوم التكامل المعرفي, ووجوده في الإسلام, واهتمامه به, ثم وجوده في التكوين الجامعي, وبيان مدلوله الحضاري والديني, وشموليته الفاعلة في الأزمنة الثلاثة: (الماضي, والحاضر, والمستقبل), ثم بيان أهم التحديات - الداخلية والخارجية - التي تواجه التكامل المعرفي, والتي قد تتسبب في ضعفه, ثم بيان علاقة هذا الضعف بالانحرافات الفكرية والسلوكية لدى الفرد والمجتمع, وأسباب ذلك وطرق علاجها.

هذا وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: بيان مفهوم الإشكال والإعمال, وبيان مفهوم التكامل المعرفي ووجوده في الإسلام

أولاً: بيان مفهوم الإشكال والإعمال.

١. الإشكال: مِن أشكل يُشكل, يقال: الأمر الفلاني مُشكل, إذا اختلطت الأُمور ببعضها, أو الأمور المختلفة, وهي التي يُهتمُّ لها، وكذلك الحوائج المختلفة, يقال: أشكلَ الأمر، إي: اختلف واختلط بغيره, وأمر أشكل أو مُشكِلٌ, أي: مشتبه وملتبس بغيره[١], فمفردة الإشكال لها مرادفات عدة, منها: المشكل, يُقال: أمر مشكل, و(المشكل: هو ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب)[٢].

فالمشكل: هو الذي يدخل في أشكاله، - أي: في أشباهه وأمثاله - غيره[٣], والمراد هنا من لفظة الإشكال هو تعامل بعض الناس أو المؤسسات مع التكامل المعرفي تعاملاً يختلف مع مقومات التكامل المعرفي, أو أن هناك خلط في معرفة ماهيته الحقيقية, أو أن بعض المفاهيم حوله مغلوطة, فبعضهم يرى أن التكامل المعرفي لا بُدَّ أن يكون في جميع المجالات, وهذا قد يُعدُّ من التعطيل والإحجام له, إذ التكامل المعرفي قد يكون في جميع مجالات المعرفة ونحوها, وقد يكون في مجال ما, وهذا لا إشكال فيه.

٢. الإعمال: أعْمَلَ: من عمل يعمل عملاً, وأعمل فلان كذا وكذا, والإعمال ضد الإهمال, يقال: أعمل فكره في أمر ما, عمل يعمل عملا، فهو عامل; واعتَمَلَ الرجل: عَمِلَ بِنَفسِهِ, وهو عام في كل فعل, والرجل يعمل لنفسه أو لغيره، ويُعمل رأيه أو كلامه أو رمحه ونحو ذلك[٤].

(يُقال: أعمل فلان ذِهنه فِي كَذَا وَكَذَا إِذا دبره بفهمه, وعمِل فلَان الْعَمَل يعمَله عَمَلاً فَهُوَ عَامل)[٥].

و(الإعمال: الاضطراب في العمل، وهو أبلغ من العمل)[٦].

والمراد هنا هو إعمال مفهوم التكامل المعرفي, وتفعيله, وعدم تركه حتى لو كان في جانب أو جوانب متعددة من الجوانب العلمية, ولا يُشترط أن يكون في كل الجوانب العلمية.

ثانياً: مفهوم التكامل المعرفي.

قد يرى بعض الباحثين أنَّ للتكامل المعرفي مفاهيم عدة, ولكنها لا تخرج عن محددات معينة؛ إذ يتبين من اللفظين أو الكلمتين مفاهيم متقاربة.

---

(١) كتاب العين, للفراهيدي, ج٥, ص٢٩٥ - ٢٩٦, وتهذيب اللغة, للهروي، ج١٠, ص١٦, والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, للفارابي, ج٥, ص١٧٣٦ - ١٧٣٧.

(٢) التعريفات, علي بن محمد الجرجاني, ص٢١٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق, نفس الصفحة.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة, للقزويني, ج٤, ص١٤٥, والمحكم والمحيط الأعظم, ج٢, ص١٧٨.

(٥) تهذيب اللغة, للهروي, ج٢, ص٢٥٥.

(٦) التعريفات, علي بن محمد الجرجاني, ص٣٠.

فيمكن القول أنَّ التكامل يدخل في مضامين عدة, والمتبادر إلى الأذهان أنه ما تكوَّن من أجزاءٍ وتم جمعها أو ترتيبها وفق سياق معين؛ ليكون كل جزء منه هو مكمل للآخر.

وأما لفظة (المعرفي), فهي تدل على كل مفردة تتعلق بكلمة معرفة أو معارف ونحو ذلك, وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يوجد فرق بين المعرفة والعلم, فالمعرفة يسبقها جهل, أما العلم فلا يسبقه جهل, لذلك وصف الله تعالى نفسَهُ بالعالم ولم يصف نفسَهُ بالعارف, أما الإنسان فيمكن أن يتصف بالعارف إذا عرف أُموراً أو أشياء علمية أو نحوها فيكون عارفاً بها, وقد يتصف بالعالم ويراد بذلك المعرفة, وليس العلم الذي لم يسبقه جهل, أو يراد به العلم الجزئي, وعلى كل حال فللمعرفة تعاريف عدة, وسأكتفي بذكر واحد منها حتى لا أُطيل.

فالمعرفة هي: (ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهي المضمرات، والأعلام، والمبهمات، وما عرف باللام، والمضاف إلى أحدهما، والمعرفة أيضًا: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف)[1].

فالتكامل المعرفي: (هو حركة تركيب وتنسيق الشعب العلمية داخل الحوض المعرفي المسلم من خلال المراجعة الشاملة لهذه الشعب)[2].

ومن وجهة نظر أُخرى يمكن تعريف مفهوم التكامل المعرفي بأنه: تلك المعرفة والصورة المعرفية المتحققة بتفعيل الرؤية الإسلامية للوجود في كل مجالات المعرفة, والغرب يسعى لإخماد أو إسدال الستار على حقب زمنية إسلامية, ويسعى الغرب جاهداً على عدم تدريس هذه الحقب الإسلامية في مقرراته في أغلب جامعاته, فالغرب حينما يؤرخ لتأريخية العلوم لديه, فهو يؤرخها ويرجعها إلى العصر اليوناني, وكل ذلك بغية تغييب الحقائق العلمية والتاريخية[3].

ثالثاً: التكامل المعرفي في الإسلام.

إنَّ الأُمـمَ التي تسعى للنهوض بمجتمعاتها نحو الرُّقي والتقدم على المستوى العلمي والفكري والتاريخي ونحو ذلك, وتسعى لتعريف مجتمعاتها بحاضرها وأهميتها بين الأُمم, واقتصرت على ذلك يكون مجتمعها عارفاً بحاضره دون ماضيه وما يستقبله, وحينها لا يكون لديه تكاملٌ معرفيٌّ؛ لأن معرفته قاصرة على حاضره, وربما عن شيء من النواحي المستقبلية - كنظرة إنسانية وتوقعية -.

أما الأُمة التي تسعى للنهوض بمجتمعها بنواحٍ عدة من النواحي الحياتية مع الربط التاريخي المعرفي للماضي, وبيان أحوال السابقين من الأفراد أو المجتمعات أو الأُمم, وما جرى لها أو عليها, ثم بيان جوانب

(١) التعريفات, علي بن محمد الجرجاني, ص٢٢١.

(٢) هذا التعريف ذكره: د. عمار قاسمي, في بحث نشره تحت عنوان: التكامل المعرفي - مقاربة مفاهيمية, ص١٥٦.

(٣) ينظر: التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية, د.عقيلة حسين, ص١٥٢.

مهمة من الجوانب المستقبلية - سواء الجوانب القريبة أو البعيدة - فسيكون لديها تكاملٌ معرفيٌّ متناسقٌ, والأُمة الإسلامية قد حظيت بهذا الجانب وعلى نطاق مهم وواسع, لا سيما ربطها للماضي والمستقبل بالحاضر ربطاً علمياً منطقياً, والأهم من ذلك أنه يستند إلى دقة الربطِ وصِدقِهِ؛ لأنه إما أن يكون قرآناً أو حديثاً نبوياً أو خبراً صادقاً, وكفى بذلك دليلاً وصدقاً.

فالإسلامُ بَيَّنَ لمجتمعه وللمجتمعات الأُخرى حاضرها وأزال عنه الضبابية, مع ربطه للماضي والمستقبل بأدلة ناصعة, وبهذا وذاك كان للإسلام ومجتمعه في الجوانب المعرفية تكامل معرفي, إذ يشتمل على الأزمنة الثلاثة, الماضي والحاضر والمستقبل, ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن النظر إلى أُمة من الأُمم وتقدمها الحضاري الحالي فقط, والحكم بأن لديها تكاملاً معرفياً, بل مهما أُوتيت من تقدم علمي وحضاري لا يُعَدُّ تكاملاً معرفياً ما لم تكن على علم - ولو بشكل إجمالي- بالماضي والمستقبل, وبشرط الصحة في النقل.

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1], التبيان هنا بمعنى البيان, ويرى العلماء أن هذا البيان هو لكل شيء, لا سيما في بيان أمور الدين، ويكون بالنص عليه، أو بإحالة إلى ما يوجب العلم، كالسُّنَّة النبوية, أو إجماع المسلمين أو القياس ونحو ذلك[2].

القرآن الكريم قد تحدث عن أُمور دينية ودنيوية, سابقة وحاضرة ومستقبلية, فقد جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء, وقال مجاهد: كل حلال وحرام, وقول ابن مسعود: أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم)[3], وهنا لا بُدَّ من بيان شيء عن التكامل المعرفي في الإسلام حسب الأزمنة الثلاثة, وكما يأتي:

١. الماضي.

الإسلام ذكر أشياء عن الماضي بأدلة صحيحة وصادقة, بما ينتفع منه الفرد والمجتمع, أو لتكون عبرة للأجيال القادمة, فقد جاءت نصوص شرعية قرآنية وحديثية بينت شيئاً عن الماضي - سواء كان مما يُعَدُّ غيباً أم لا, ومن ذلك:

---

(١) سورة النحل, من الآية: ٨٩.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير, جمال الدين أبو الفرج, بن الجوزي, ج٢, ص٥٧٨, وأنوار التنزيل وأسرار التأويل, ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي, ج٣, ص٢٣٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير, ج٤, ص٥٩٤.

أ. تعليم الله تعالى الأسماءَ لآدم, قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

ب. أمر اللهُ تعالى الملائكةَ بالسجود لآدم, ثم إسكان آدم وزوجه الجنة, وخروجهما منها, وتوبة الله تعالى على آدم, وهذا بصريح القرآن الكريم.

ج. أَخْذُ العهد من بني آدم وإشهادهم على أنفسهم بربوبيتهِ تعالى, قال اللهُ تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[2].

د. أَخْذُ العهد من الأنبياء للإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم, قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3].

هـ. ما حصل لابنَي آدم, من تقديمهما القرابين, وقتل أحدهما الآخر, وذِكرُ بعضِ الأُمم السابقة وما حصل لها أو عليها, كقوم لوط وما كانوا يفعلون, وما جرى عليهم من عذاب, وقوم عاد ومدين وغيرهم, وما جرى مع موسى وقومه, وكيف أن بعضهم اتخذ عجلاً يعبده, ومع ذلك كان فيهم قوم يهدون بالحق وبه يعدلون.

ومما مضى كان غيباً ثم بَيَّنه اللهُ تعالى, ومنه ما لم يكن غيباً حينها, ولكن بتقادم الزمان تناسى الناس أحداثاً كثيرة من الماضي, فأصبح كثير منها بمثابة غيب بالنسبة لِمَن جاء بعدهم, فكان الإخبارُ القرآنيُّ والنبويُّ إعلاماً أو إخباراً لتلك الحُقَبِ الزمنية - التي غاب خبرها عن الناس- عسى أن يتعظ الناس مما جرى لتلك الأقوام ولا يقترفون ما اقترفته تلك الأُمم والأقوام, ووردت في السُّنَّة النبوية الشريفة أحاديث عدة في هذا المجال, منها قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ[4] المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ[5] عَنِ المُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ)[6].

---

(١) سورة البقرة, الآية: ٣١.

(٢) سورة الأعراف, الآية: ١٧٢.

(٣) سورة آل عمران, الآية: ٨١.

(٤) أجازيهم, أي: أتقاضاهم الحق الذي لي عليهم, وقوله: فأنظر, أي: أؤخر المطالبة بحقي.

(٥) أتجاوز: أي: أُسامح في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما فيه نقص يسير.

(٦) صحيح البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء, باب ما ذكر عن بني إسرائيل, ج٤, ص١٦٩, برقم: ٣٤٥١, وصحيح مسلم, كتاب المساقاة, باب فضل إنظار المعسر, ج٣, ص١١٩٤, برقم: ١٥٦٠ و ١٥٦١, واللفظ للبخاري.

٢. الحاضر.

لقد اهتم الإسلام بحاضر الناس بصورة عامة, وبحاضر المسلمين بصورة خاصة, فأولاه الاهتمام الكبير؛ لما فيه من بيان الأحكام والعبادات والحقوق بينهم ونحو ذلك, فقد جاء الإسلام بالأوامر والنواهي والمواعظ والأخلاق وتزكية النفس, ومن ذلك:

أ. الأوامر[١].

لقد جاء الإسلام بجملة من الأوامر التي - بلا شك ولا ريب - تصب في مصلحة الإنسان, سواء في الدنيا أم في الآخرة, ومن هذه الأوامر: الإيمان بالله تعالى, ورسله, وباليوم الآخر, وبالقدر خيره وشره, وكذلك الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج لمستطيعه, وكذا في الجوانب الأخلاقية, والسير والسلوك والتقوى, وفي التعامل بين الناس, والسعي إلى تربية النفس التربية الصحيحة والترقي بها إلى سماء النقاء والصفاء, وطلب معالي الأُمور والترفع عن سفاسفها.

ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾[٢].
- ﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[٣].
- ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[٤].

ب. النواهي[٥].

وأما النواهي فهي لا تقل شأناً عن الأوامر, فهي جاءت لحفظ الدين والنفس والعرض والمال ونحو ذلك, فقد جاءت جملة من النواهي, كالنهي عن الخيانة والربا والسرقة والحسد والحقد والظلم ونحو ذلك.

---

(١) (الأمر: هو في لغة العرب عبارة عن استعمال صِيَغِ الأمر على سبيل الاستعلاء وعرّفوه: بأنه كلام تامٌّ دال على طلب الفعل على سبيل الاستعلاء). التعريفات الفقهية, محمد البركتي, ص٣٥.

(٢) سورة النساء, من الآية: ١٣٦.

(٣) سورة الأنعام, الآية: ٧٢.

(٤) سورة المائدة, من الآية: ٢.

(٥) (النّهي: خلافُ الأمر، تقول: نَهَيتُهُ عنه), كتاب العين, ج٤, ص٩٣, و(النّهي: هو قول قائل لمن دونه «لا تفعل» فهو ضدٌّ الأمر). التعريفات الفقهية, محمد البركتي, ص٢٣٣. والمراد هنا كل أمر نهى عنه الشرعُ على أي وجه من الوجوه, سواء كان النهي للوجوب أو للكراهة أو للندب ونحو ذلك.

ومن ذلك قولهُ تعالى:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1].

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

ت. الأخلاق وتزكية النفس.

لم يترك الإسلامُ الجوانب التربوية والأخلاقية, فقد حظيت باهتمام الإسلام فيها, قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[3], والترفع عن قبيح القول, وترك ما لا يعني للشخص شيئاً, قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ)[4], ومن الأخلاق وتزكية النفس التي دعا إليها الإسلام: الحياء, الصبر, الزهد, الشجاعة, السخاء, الورع, العيش بين الخوف والرجاء من الله تعالى, التوكل على الله تعالى, كثرة الدعاء والاستغفار والتوبة, محاسبة النفس.

٣. المستقبل.

لم يهمل الإسلامُ الجوانبَ المستقبلية, سواء كانت قريبة الأمد كحدوثها بوقت قريب أو بعيدة كأحوال يوم القيامة ونحو ذلك, فما جاء به القرآن الكريم عن المستقبل هو من الغيبيات - سواء وقعت أم لم تقع بعد-, ومن ذلك:

أ. الغيبيات.

من الغيب ما وقع قريباً, ومنه ما لم يقع بعد, ولكنَّ الأخبار عن هذه الغيبيات صحيحة وواقعة لا محالة؛ وذلك لصحة أدلتها.

- ما كان من الغيبيات التي وقعت قريباً من الإخبار بها.

إخبار الله تعالى عن فعل بعض البشر قبل فعلهم له, فوقع ما أخبر به, وهذا من قبيل جعل المستقبل موضع الماضي[5], كقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ

(١) سورة آل عمران, من الآية: ١١٨.

(٢) سورة آل عمران, من الآية: ١٣٠.

(٣) سورة البقرة, من الآية: ١٥١.

(٤) سنن الترمذي, محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الزهد, بابٌ في قلة الكلام, ج٤, ص١٣٦, برقم: ٢٣١٧.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن, تفسير القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي, ج٢, ص١٤٧ - ١٤٨.

وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

- ما كان من الغيبيات التي لم يحصل وقوعها بعد, أو أن وقوعها ليس بقريب.

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ), فَقَالَ ابْنُ الصَّامِتِ: فَلَقِيتُ رَافِعَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ، أَخَا الْحَكَمِ الْغِفَارِيِّ، قُلْتُ: مَا حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ: كَذَا وَكَذَا؟ فَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم)[2].

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[3].

وعن أبي ذرٍّ زضي الله عنه، قال: قال لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ، فَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ صَلَّيْتَ لِوَقْتِهَا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً، وَإِلَّا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ)[4], الأخبار الصحيحة عن الساعة وأماراتِها, وما يكون قبلها وبعدها, وعن يوم القيامة وما فيه من أهوال وأحوال, وما فيه من بشائر وأفراح, وكلها من الغيبيات, ونحن كمسلمين نصدق بها ونؤمن بما ورد في ذلك من نصوص قرآنية أو نبوية بأدلة صحيحة.

ب. السنن الإلهية (المشاهدة أو المجربة): ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[5], وقد شوهد ما جعله اللهُ تعالى يسراً بعد عسر في أزمنة وأوقات مختلفة, سواء على مستوى الأفراد أو المجتمع.

فهذا هو الإسلام, دين متكامل وشامل, فقد ربط بين الماضي والحاضر والمستقبل, والإسلامُ جاء بنصوص قرآنية ونبوية تحدثت عن شيء من النواحي الغيبية بكافة الأزمنة, لذا فالحضارة الإسلامية قد انفردت بهذه الأُمور, أما في غير الإسلام فيوجد تاريخ, وتوجد بعض المعارف ولكن لا توجد معرفة أو علم تحدث عن النواحي الغيبية - لا أعني الشرائع السماوية الأولى بل أعني النقول المحرَّفة - فتلك الأُمم لا تملك في ذلك نصوصاً صحيحة, لذا يبقى مجالها المعرفي غير متكامل.

---

(١) سورة البقرة, الآية: ١٤٢.

(٢) صحيح مسلم, كتاب الزكاة, باب الخوارج شر الخلق والخليقة, ج٢, ص٧٥٠, برقم: ١٠٦٧.

(٣) سورة الحشر, الآية: ٢١.

(٤) صحيح مسلم, كتاب المساجد ومواضع الصلاة, باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام, ج١, ص٤٤٨, برقم: ٦٤٨.

(٥) سورة الطلاق, الآية: ٧.

وأما إخفاق الأُمة في جوانب معينة لا يعني أنها لا تملك التكامل المعرفي, فأدواته موجودة لديها ولكن ربما يساء استخدامها أو لم تستخدم في بعض الأحيان, لذا نرى إخفاقاً في بعض الجوانب, وهذا لا يُعَدُّ قدحاً في تكاملها المعرفي.

والإسلام لم يهمل جانباً من الجوانب الدينية والعلمية, ولم يهمل الطاقات البشرية وتفكيرها, لذا نجد الإسلام لم يهمل العقل البشري, بل حثه على التدبر والتفكر؛ ليتحصَّل من ذلك عدة أُمور, أهمها المعرفة والعلم بالأُمور والسنن الكونية ونحوها, ويتحصَّل من هذا التكامل المعرفي المنشود, والرؤية المستقبلية من جهة النظرة الإنسانية, جراء إعمال الفكر في غوامض العلوم, وقد حث القرآن الكريم على إعمال الفكر في نفس الإنسان وما حوله, وما يرد من قصص وأمثال ونحوها, وفي نصوص قرآنية عدة ذكر اللهُ تعالى وبَيَّنَ أهمية التفكر, ومن ذلك:

- ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[1].
- ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وأفضل ما يحرك الفكرَ هو الوحي, إذ يرشده إلى مواطن لم تكن له قوة منفردة أو مستقلة تقوده إلى تلك المواطن, كتوحيد الله والإيمان به, فالعقل البشري سابقاً ولاحقاً قد أعمل طاقته في هذا الموطن, ولكنه كثيراً ما انحاز عن جادة الحقِّ والنجاة, فاتَّخَذَ الأصنامَ آلهة له ونحو ذلك, ولكن لما جاء الوحي وأرشد العقل إلى طريق الحق واليقين استنار بهذا الإرشاد الإلهي, وعرف طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

فهذه المعرفة التي تبين أشياء كثيرة عن الماضي والحاضر والمستقبل, بما في ذلك من الغيبيات التي في الزمن الماضي, وكذلك في الحاضر والمستقبل جديرة بأن يكون لها السبق في صفة التكامل المعرفي, وهذا لا يوجد في غير الإسلام, وما عداه فهناك من الأُمم لديها بعض النقولات سواء عن الماضي أم عَمَّا يُستقبل من الزمن, ولكنها ليست دقيقة, وتفتقر إلى الصحة والأدلة القوية, بل بعضها ثبت فيها الكذب وثبتت فيها الخديعة, وليس في ذلك غرابة؛ لأن نقولاتهم ليست مستندة إلى أدلة صحيحة, وكفى بهذا نفياً للتكامل المعرفي لديهم؛ إذ اقتصار معرفتهم على الحاضر وشيء عن الماضي وتطلع إلى المستقبل لا يُعَدُّ تكاملا معرفياً, بل هو نقص في المعرفة لديهم.

(١) سورة الروم, الآية: ٨.

(٢) صحيح مسلم, مقدمة الإمام مسلم رحمه الله, باب في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم, ج١, ص١٢, برقم: ٦.

المطلب الثاني: التكامل المعرفي عند العلماء السابقين, ومدلوله الحضاري في التكوين الجامعي المعاصر

أولاً: التكامل المعرفي في النواحي العلمية عند العلماء السابقين.

للعلماء السابقين دور بارز في تفعيل التكامل المعرفي بصورة عامة, سواء في مجال التحصيل العلمي أم التأليف ونحوهما, مستمدين ذلك من القرآن والسنة, وأقوال أهل العلم, لذلك برز علماء في جميع الميادين, كعلوم الشريعة وعلوم اللغة والفلك والرياضيات والطب والهندسة[1], ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى -, إذ يقول: (للمتعلم أن لا يدع فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطّلع به على غايته ومقصده وطريقه. ثم إن ساعده العمر وأتته الأسباب طلب التبحّر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض، ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معادياً لذلك العلم بسبب جهله به. فإن الناس أعداء ما جهلوا)[2], وفي هذا تحفيز لطلاب العلم للتوسع في فنون العلم, وعدم الاكتفاء بتعلم فنٍّ من فنونه.

وذكر السيوطي أن الناس اختلفوا في تفسير القرآن, فقال بعضهم: هل يحق لكل واحد الخوض فيه؟ فقال جماعة: لا يجوز لأحد أن يفسر شيئاً من القرآن حتى وإن كان لديه علم ويتسم بالمعرفة والفقه والأخبار, إلا أن يقف على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر, وقال بعضهم: يجوز أن يفسره مَن كانت لديه الكفاية من العلوم التي يحتاج إليها المفسر, وهي خمسة عشر علماً, منها: اللغة والنحو, والبلاغة, والقراءات, وأُصول الدين, والفقه وأُصوله, وأسباب النزول, والناسخ والمنسوخ[3], وهذا يرشدنا إلى أن التكامل المعرفي يدخل في مجالات عدة, وقد برز في ذلك علماء كُثر, جمعوا بين الطب والفلسفة والفقه, كابن رشد الحفيد, ومنهم مَن جمع بين الحساب والهندسة والطب والمنطق وعلم النجوم والجغرافيا والسياسة وعلم النفس والأخلاق كالكندي, ومنهم مَن جمع بين الشريعة والطب كأبي بكر الرازي[4].

---

(١) ينظر: التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية, د. عقيلة حسين, ص١٥٧-١٥٨.

(٢) ميزان العمل, أبو حامد الغزالي, ص٣٤٨.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن, عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي, ج٤, ص٢١٣ - ٢١٥.

(٤) ينظر: التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية, د. عقيلة حسين, ص١٥٨-١٥٩.

وقد يكون التكامل المعرفي خاصاً في فنٍّ من الفنون, وقد يبدع صاحبه إبداعاً كبيراً, قال أبو عبيد القاسم بن سلام[1]: (ما ناظرني رجل قط وكان مفنناً في العلوم إلا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك)[2], وهذا ما باب أن التكامل المعرفي في علوم شتى يمكن المناظرة به مع متفنن آخر في علوم شتى, أما التكامل المعرفي في علم معين قد يغلب صاحب الاطلاع لعلوم متعددة.

وفي هذا المضمار قال أحدهم لابنه: (يا بني، خذ من كل علم بحظ؛ فإنك إن لم تفعل جهلت وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته لما جهلت، وعزيز علي أن تعادي شيئاً من العلم)[3].

إنَّ مبدأ التأصيل للعلم والمعرفة والتكامل المعرفي في الإسلام, هو العودة إلى الوَحْيَيْنِ (الكتاب والسنة) ثم الإجماع والقياس, وما يراه أهل العلم مناسباً وفق ضوابط معينة[4].

ثانياً: التكامل المعرفي في التكوين الجامعي المعاصر.

إنَّ التكامل المعرفي على المستوى العلمي والتكوين الجامعي, وكون المرحلة الجامعية هي آخر محطة علمية كسياق إداري, فلا بُدَّ أن تكون لها مشاركة فاعلة في التكامل المعرفي.

بعض الجامعات كالجامعات الطبية أو الهندسية ونحوها, تجد الطالب فيها يدرس الطب وما يتعلق به مجرداً عن دراسة شيء عن أسلافه من المسلمين أو العرب في ذلك - أو ربما يعرف شيئاً قليلاً لا يسعفه حتى في الحديث عنه - في حين أنه يوجد علم في هذا المجال عند سلفه من المسلمين أو العرب, وكذلك طالب الهندسة يدرسها بقوانين الغرب - غالباً - وقد لا يعلم إلا القليل عن سلف الأُمة في هذا المجال, مع أنه يوجد علم الهندسة لعلماء مسلمين أو عرب, ولا أُريد التفصيل في ذلك خشية الإطالة, فهذا الأمر لا يخفى على عاقل أو متعلم[5].

فطلب العلم بهذا الشكل قد لا يُعَدُّ تكاملاً معرفياً حتى على العلم الواحد كالطب أو الهندسة أو الزراعة مثلاً, فيجدر بطالب العلم في الطب ونحوه أن يكون له تكاملٌ معرفيٌّ, وذلك بمعرفة مضامين هذا العلم, وأينَ وُجِدَ؟ ومَن علماؤه سواء من الغرب أو من العرب والمسلمين؟ حتى يكون لديه تكاملٌ معرفيٌّ

(١) أبو عبيد القاسم بن سلَّام، ت(٢٢٢هـ وقيل ٢٢٤هـ), كان فاضلاً قاضياً عالماً بالقراءات والعربية والفقه والأخبار ونحوها، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, أبو العباس, ابن خلكان ج٤, ص٦٠ - ٦٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله, أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي, ج١, ص ٥٢٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه بالجزء والصفحة.

(٤) ينظر: التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية, د. عقيلة حسين, ص١٥١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه, ص١٦١ - ١٦٢.

ولو على مستوى مجال عمله, وكذا طالب الهندسة والزراعة والرياضيات ونحوه, وبجملتهم يكون لدينا تكاملٌ معرفيٌّ في شتى المجالات.

ولو تتبعنا علماء الأُمة الإسلامية السابقين, لوجدنا أن لديهم تكاملاً معرفياً, في أغلب العلوم بصورة عامة, وفيما يتوصل به إلى الله تعالى, وما يتعلق بالعلوم الإسلامية بصورة خاصة, لذلك وصفهم اللهُ تعالى بالخَيرِيَّة, فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1].

بعضُ العلوم إن لم توجَّه التوجيه الصحيح أو المقارنة السليمة, فقد تكون سلاحاً موجهاً نحو الشريعة الإسلامية أو بعض بنودها للطعن فيها, لذا نحتاج إلى الانطلاق نحو غاية سامية عزيزة سقفها الإسلام, وبنودها الشريعة, مع معرفة ما يحيط بنا من معارف وعلوم في شتى المجالات, للنهوض بواقع الأُمة ومجتمعاتها, وقد سعى إلى ذلك علماءُ الأُمة ومفكروها وأساتذتُها قديماً وحديثاً, وأشاروا بأن على المتعلم أن يكون له باع طويل في العلوم, وثروة علمية وتكاملٌ معرفيٌّ, وذلك بأن يكون له نصيب في أغلب العلوم, ثم لا حرج أن يتخصص في مجال منها[2].

فأي تكامل معرفي لدى الطالب الجامعي إذا كان بحثه مستلاً أو منقولاً نصاً؟ فهذا لا يُعَدُّ باحثاً بل هو ناقل للمعلومات وناسخ لها فقط, وبهذا يكون بعيداً عن أي تكامل معرفي, بل الأدهى من ذلك حينما نسمع عن باحث ليس له نصيب من بحثه إلا اسمه فقط - اسم صاحب البحث -, لأن بحثه قد كتبه له شخص آخر - سواء بأُجرة أو لا -, نعم لا حرج أن يطلع على أبحاثِ غيره, وَيُكَوِّنُ منها فكرة للانطلاق في مشروع بحثه الجديد, مع إبداعاته الشخصية وفق ضوابط البحث العلمية.

فمشكلة استلال الأبحاث أو الاستعانة بشخص ليكتب للطالب بحثاً هي من مشكلات العصر, ويمكن علاج هذه المشكلة بطرق عدة, منها:

١. التدريس المنضبط - ومن أهل التخصص - للطلبة في مادة البحث.

٢. التأكيد على معرفة استخراج المعلومات العلمية من مظانها.

٣. تدريب الطلبة على الكتابة والبحث العلمي, وذلك بطلب كتابة تقارير علمية أو ورقات بحثية بين الحين والآخر, ليتدرب فعلياً وليس نظرياً فقط.

٤. المناقشات العلمية للأبحاث داخل قاعة الدرس, فلها أثرها الكبير.

٥. الاهتمام بأبحاث الطلبة وتشجيعهم, والثناء على ما كتبوه وترغيبهم في الاستزادة من ذلك.

---

(١) سورة آل عمران, من الآية: ١١٠.

(٢) ينظر: التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية, د. عقيلة حسين, ص١٦٦-١٦٨.

المطلب الثالث: التكامل المعرفي في مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكية في المجتمع

أولاً: الانحرافات الفكرية والسلوكية في المجتمعات[1].

الإسلام دين الوسطية والاعتدال, قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2], والإسلام دين الخيرية التي وصف اللهُ تعالى الُأمة المحمدية بهذه الصفة المباركة, فقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[3], والإسلام دين السماحة والعفو والمسامحة, قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[4], ومع هذا وذاك نرى انحرافات في الفكر والسلوك لدى الأفراد والمجتمعات, ولهذه الانحرافات الفكرية والسلوكية اتجاهات عدة, كالعنف, والتحلل الأخلاقي, والتكبر, والتعاطي للمسكرات والمخدرات, والإلحاد ونحوها, ومن هذه الانحرافات ما يأتي[5]:

١. الميل إلى العنف.

سواء في ذلك مع الناس, أو في الحياة الزوجية, أو بارتكاب الجرائم بحق نفسه أو غيره, وأمثلة ذلك كثيرة, كالعنف من المجاميع المسلحة الخارجة عن القانون تجاه الأبرياء والعُزَّل ونحوهم, وكذلك العنف الذي يكون من بعض الأزواج تجاه زوجاتهم أو بالعكس, والانتحار وغيرها.

٢. الانحلال الأخلاقي.

وهذا يدخل في شخصية الإنسان, وفي معاملته مع الناس, ومع والديه بعقوقهما وعدم القيام بحقهما, وفي حياته الزوجية, بعدم الاحترام المتبادل بينهما, أو الطعن في أهلها, أو بعدم الاكتراث لها بما تلبس أو تصنع ونحو ذلك.

٣. التكبر والإصرار على المخالفة أو الجهر بالكلام البذيء ونحو ذلك.

نحن مأمورون بالتواضع, وحفظ اللسان, وتجنب الكلام البذيء ونحوه, قال اللهُ تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[6].

---

(١) ينظر: المجتمع الإسلامي, معالم قوته, أسباب ضعفه, وسائل نهوضه, محمد سعيد بني عايش, مجلد ٤٥, عدد٤, ملحق٢, ص١٧٤ - ١٨٠, ٢٠١٨م.

(٢) سورة البقرة, من الآية: ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران, من الآية: ١١٠.

(٤) سورة النساء, الآية: ١٤٩.

(٥) ينظر: التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية في مواجهة الانحراف الفكري والسلوكي لدى الشباب, بحث من إعداد: د. ندى محمد جميل برنجي, ص٤ - ٧.

(٦) سورة النساء, الآية: ١٤٨.

٤. التعاطي للمخدرات والمسكرات ونحوها.

وهذا مما ابتلي به الناس والمجتمعات, لا سيما ونحن مسلمين, إذ يجب على المسلم اجتنابه اتباعاً لقوله تعالى في صريح القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1].

ثانياً: أسباب الانحرافات الفكرية والسلوكية في المجتمع.

إنَّ للانحرافات الفكرية والسلوكية لدى الفرد أو المجتمع أسباباً عدة, منها[2]:

١. عدم الاهتمام بالأُسرة وبالتربية الصحيحة للأبناء والبنات.

ينبغي أن يكون الاهتمام بالأُسرة من أولويات أعمال المسلم, فقد وردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تشير إلى أهمية هذا الأمر, ومن ذلك:

أ. قال اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[3].

ب. قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[4].

٢. ضعف الوازع الديني والثقافة الشخصية لدى الفرد والمجتمع, وترك الاهتمام بالجوانب الدينية والعلمية, وأعظم سبب في ذلك هو الابتعاد عن تعاليم الإسلام السمحة, وعدم التزامها, وقد وردت نصوص شرعية تحث على ذلك, كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[5].

٣. الأفكار الدخيلة.

إنَّ أسباب انتشار الأفكار الدخيلة وتغلغلها في المجتمع كثيرة, أهمها:

أ. عدم اهتمام الحكومات بمحاربة الأفكار الدخيلة اهتماماً كبيراً.

ب. ضعف اهتمام الدعاة وأهل التخصص في مواجهة هذه الأفكار.

---

(١) سورة المائدة, الآية: ٩١.

(٢) ينظر: التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية في مواجهة الانحراف الفكري والسلوكي لدى الشباب, بحث من إعداد: د. ندى محمد جميل برنجي, ص٨ - ١٥.

(٣) سورة التحريم, من الآية: ٦.

(٤) صحيح البخاري, كتاب العتق, باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي, ج٣, ص١٥٠, برقم: ٢٥٥٤, وصحيح مسلم, كتاب الإمارة, باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم, ج٣, ص١٤٥٩, برقم: ١٨٢٩.

(٥) سورة آل عمران, من الآية: ٣٢.

ج. عدم حماية المناهضين للأفكار الدخيلة من قبل الحكومات, وتركهم فريسة سهلة لأصحاب الأفكار الدخيلة أو مؤيديها أو جهات خارجة عن القانون.

٤. التدخلات الخارجية أو الاحتلال للبلدان.

٥. الأوضاع الاقتصادية المتردية للبلد, وما يصاحبها من فَقْرٍ وَعَوَزٍ.

٦. عدم التلقي عن أهل العلم الربانيين وأهل التخصص.

المسلم مأمور أن يتعلم ويسأل أهل العلم عن أُمور دينه ودنياه, وهذا الأمر في صريح القرآن الكريم, قال اللهُ تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1], فلولا أهل العلم والتخصص لما تعلمنا شيئاً من أُمور ديننا ودنيانا.

٧. الخوف من المجهول أو من المستقبل.

٨. الإلحاد ونبذ الأديان, وترويج فكرة زواج المثلِيّين, وتقبلها من بعض الشواذ.

ثالثاً: أهمية التكامل المعرفي في مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكية.

التكامل المعرفي يبيّنُ أهم طرق معالجة هذه الانحرافات, ومن ذلك[2]:

١. السعي في الاهتمام بالأُسرة والأبناء, وبالجانب الديني والعلمي والثقافي.

٢. التحذير والتصدي للأفكار الدخيلة, واهتمام الحكومات بمحاربة أي فكر دخيل على الإسلام والمجتمع, كالإلحاد, وحالات الشواذ كزواج المثلِيّين.

٣. اهتمام الدعاة والمتخصصين في مواجهة هذه الأفكار بفكر نيّرٍ, وعمل محاضرات وندوات تبين خطورة هذه الأفكار, برعاية حكومية.

٤. السعي إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية للبلد من قبل الحكومة والمختصين.

٥. ترك التشاؤم والخوف من المستقبل[3].

---

(١) سورة النحل, من الآية: ٤٣, وأيضاً في سورة الأنبياء, من الآية: ٧.

(٢) ينظر: المجتمع الإسلامي, معالم قوته, أسباب ضعفه, وسائل نهوضه, محمد سعيد بني عايش, مجلد ٤٥, عدد٤, ملحق٢, ص١٧٠ - ١٧٣, ٢٠١٨م.

(٣) ينظر: التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية في مواجهة الانحراف الفكري والسلوكي لدى الشباب, بحث من إعداد: د. ندى محمد جميل برنجي, ص٢٤ - ٢٧.

الخاتمة وأهم التوصيات

بعد التجوال في هذا السفر المتواضع, والخوض في روافده المتنوعة, نجد أن مفهوم التكامل المعرفي هو مفهوم كبير, تندرج تحته مضامين كثيرة, ينبغي على الأُمة أن تدرك ذلك, وتسعى للحفاظ عليه, وتنميته بشكل واسع, وعلى أصعدة متعددة, كي ترتقي الأُمة بتلك المعارف التي هي معيارها بين الأُمم.

ويمكن - من خلال بنود هذا البحث - استخلاص توصيات عدة, يمكن أن تكون ضمن بنود المحافظة على التكامل المعرفي الذي يقود الأُمة إلى نهضتها وتقدمها في ميادين كثيرة, ومن هذه التوصيات ما يأتي:

١. الاهتمام بالأُسرة وبالسعي في تربيتها التربية الصحيحة, وفق تعاليم الإسلام وسلوكياته.

٢. الاهتمام بالثقافة الدينية والعلمية على مستوى الفرد أو المجتمع.

٣. الأفكار الدخيلة, الأفكار الدخيلة سموم قاتلة, فلا بُدَّ من التصدي لها والتحذير من شرورها, وهذا يقع على عاتق الجميع, ومن ذلك:

- اهتمام الحكومات بمحاربة أي فكر دخيل على الإسلام والمجتمع.
- اهتمام الدعاة والمتخصصين في مواجهة هذه الأفكار بفكر نيّرٍ.
- عمل محاضرات وندوات تبين خطورة هذه الأفكار, برعاية حكومية.

٤. حماية سيادة الدولة, وعدم الرضوخ إلى التدخلات الخارجية.

٥. السعي من قبل الحكومة والمختصين إلى إصلاح أوضاع البلد الاقتصادية.

٦. الاهتمام بأهل العلم الربانيين, والالتفاف حولهم والأخذ عنهم.

٧. ترك الخوف من المستقبل, فالمسلم الحق يعمل ليومه, ويحضِّر لمستقبله, ويتفاءل فيما يستقبله ولا يتشاءم من القادم, فهو لا يعلم أين يكمن الخير, فَلِمَ الخوف من المستقبل؟ بل على المسلم أن يجعل في صميم إيمانه أن الأمر بيد الله تعالى, فلا يخشى من مجهول ما دام الأمر بيد الله تعالى.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. الإتقان في علوم القرآن, المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي, ت(٩١١هـ), المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢. التعريفات الفقهية, المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي, الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م), ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣. التعريفات, المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني, ت(٨١٦هـ), ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر, الناشر: دار الكتب العلمية بيروت, لبنان, ط١, ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤. التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية في مواجهة الانحراف الفكري والسلوكي لدى الشباب, مجلة جامعة الملك عبد العزيز, الآداب والعلوم الإنسانية, م٢٨ع٤ ص ص: ١-٣٦(٢٠٢٠م), إعداد: د. ندى محمد جميل برنجي, الأُستاذ المشارك في قسم اللغات الأُوربية وآدابها, جامعة الملك عبد العزيز, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, شعبة اللغة الفرنسية وآدابها.

٥. التكامل المعرفي في المنظومة التعليمية الجامعية (مقاربة تأصيلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها), إعداد الدكتورة: عقيلة حسين, كلية العلوم الإسلامية, جامعة الجزائر١, مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية, العدد الرابع, ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦. التكامل المعرفي, مقاربة مفاهيمية, د. عمار قاسمي, جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, مجلة آفاق علمية, مجلد: ١٠, عدد: ١, لسنة ٢٠١٨م.

٧. الجامع لأحكام القرآن, تفسير القرطبي, المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ), تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الناشر: دار الكتب المصرية, القاهرة, ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي, ت(٣٩٣هـ), تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, الناشر: دار العلم للملايين, بيروت, ط٤١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩. المجتمع الإسلامي, معالم قوته, أسباب ضعفه, وسائل نهوضه, بحث: محمد سعيد أحمد محمود بني عايش, دراسات في علوم الشريعة والقانون, ٢٠١٨م.

١٠. المحكم والمحيط الأعظم, المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي, ت(٤٥٨هـ),

المحقق: عبد الحميد هنداوي, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت, ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل, المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي, ت(٦٨٥هـ), المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي, الناشر: دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط١, ١٤١٨هـ.

١٢. تفسير القرآن العظيم, المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي, ت(٧٧٤هـ), المحقق: سامي بن محمد سلامة, الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع, ط٢, ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣. تهذيب اللغة, المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور, ت(٣٧٠هـ), المحقق: محمد عوض مرعب, الناشر: دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط١، ٢٠٠١م.

١٤. جامع بيان العلم وفضله, المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي, ت(٤٦٣هـ), تحقيق: أبي الأشبال الزهيري, دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية, ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٥. زاد المسير في علم التفسير, المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي, ت(٥٩٧هـ), المحقق: عبد الرزاق المهدي, الناشر: دار الكتاب العربي, بيروت, ط١, ١٤٢٢هـ.

١٦. سنن الترمذي, المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى, ت(٢٧٩هـ), المحقق: بشار عواد معروف, الناشر: دار الغرب الإسلامي, بيروت, ١٩٩٨م.

١٧. صحيح البخاري, الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه, المؤلف: محمد بن إسماعيل, أبو عبدالله البخاري الجعفي, ت(٢٥٦هـ), المحقق: محمد زهير بن ناصر, ومعه: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا, أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة, جامعة دمشق, الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي), ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨. صحيح مسلم, المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري, ت(٢٦١هـ), المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي, بيروت.

١٩. كتاب العين, المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري, ت(١٧٠هـ), تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٠. معجم مقاييس اللغة, المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين, ت(٣٩٥هـ), المحقق: عبد السلام محمد هارون, الناشر: دار الفكر, عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١. ميزان العمل, المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي, ت(٥٠٥هـ), حققه وقدم له:

الدكتور سليمان دنيا, الناشر: دار المعارف، مصر, ط١، ١٩٦٤هـ.

٢٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي, ت(٦٨١هـ), تحقيق: إحسان عباس, دار صادر, بيروت, ط١، ١٩٧١م.